



# حقيقة الفيلم المسيئ ومقتضيات القرن الحادي والعشرين

بقلم

الشيخ محمد إمداد حسين بيرزاده

مؤسس ورئيس جامعة الكرم ببريطانيا ورئيس فرع الرابطة العالمية لخريجي الأزهر ببريطانيا



القرآن المجيد هو أساس الإسلام وهو الكتاب الأخير الذي أنزله الله تعالى ، وتفسيره العملي هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمضى الأربعين عاماً الأولى من حياته قرآناً مجسداً ، ثم قرأه وعلمه طيلة الأعوام الثلاثة والعشرين الأخيرة من عمره صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كان قرآناً حياً يتحرك وينطق . وقد دأب أعداء الإسلام على التناول على القرآن الكريم تارة ، وعلى صاحب القرآن الكريم تارة أخرى في محاولات مستميتة لتشويه صورة الإسلام ، بل إنه قبل وقت ليس بالبعيد وبعد كتاب سلمان رشدي (آيات شيطانية) نشرت في الدنمارك رسوم مسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ظهر في الهولنده نفسها فيلم مسيء (الفتنة) ، وبعدها إهانة القرآن في أمريكا ثم إنتاج فيلم مسيء للنبي صلى الله عليه وسلم في أمريكا مرة أخرى ، فالأمر إذاً ليس بجديد ، بل إنه متواصل منذ ألف وأربعمائة عام وحتى يومنا هذا ، وسيستمر طالما لم يتحد المسلمون ويطبقون الإسلام ويحققون التطور في الاقتصاد والإعلام والعلوم والتكنولوجيا وغيرها من العلوم الحديثة .

إن عدد اليهود في العالم يقلّ عن خمسة عشر مليوناً ، وليس لديهم سوى بلد صغير (إسرائيل) ، لكنهم يعدّون شعباً متحضراً لتقدمهم في العلوم الحديثة وفي نفس الوقت لم يتخلوا عن يهوديتهم ، وحظروا التعرض لنقد ما يسمى محرقة اليهود (الهولوكوست) ، بينما يبلغ تعداد المسلمين في العالم ما يزيد على مليار ونصف ، ويزيد عدد دولهم على خمسين دولة ، لكنهم بسبب تراجعهم في العلوم الحديثة وابتعادهم عن القيم والمبادئ الإسلامية ينظر إليهم على أنهم إرهابيون ، ويتعرض الإسلام لهجمات شرسة :

لقد حكم قاضي القدر منذ الأزل أن عقاب جريمة الضعف هو موت الفجاءة

إن هذا الفيلم المسيئ وإن كان يعدّ حلقة في سلسلة من الحراب التي استعملت على مدى الألف وأربعمائة عاماً الماضية بغرض الإساءة إلى نبينا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إلا أنه قد حطّم كل الأرقام القياسية السابقة في الافتراء

والكذب والخداع والمغالطة ، فقد حاول الكارهون للإسلام في السابق تقديم صورة خاطئة له بإخراج بعض العبارات من سياقها وتحريف العبارات الأصلية وتشويهها ، أما منتج هذا الفيلم فقد بنى على غير أساس وحلّق بغير جناح ، ونسب إلى نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم أموراً هجومية أبعد ما تكون عن الحياء والتحضر ، بل إنها تعد أسوأ انتهاك لحقوق الإنسان ، وأكبر إرهاب أخلاقي يشهده العالم ، حيث جرح بشدة مشاعر أكثر من مليار ونصف مليار مسلم .

## خلفية الفيلم

وكما أن المادة التي قدمت في هذا الفيلم تثير الاشتمزاز فإن خلفيته هي الأخرى مثيرة للجدل والاعتراض ، فقد سمي الفيلم (براءة المسلمين : Innocence of Muslims) ، وتم بث جزء منه في حوالي أربع عشرة دقيقة على (اليوتيوب) في شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) ، وأطلق على هذا الجزء اسم (فيلم محاكمة محمد : Muhammad Movie Trailer) ، وعرف منتج الفيلم نفسه باسم (سام باسيل : Sam Bacile) ، إلا أن اسمه الحقيقي هو (نيقولا باسيلي نيقولا : Nakoula Basseley Nakoula) ، وهو مسيحي مصري يعيش في أمريكا (كاليفورنيا) ، وقد سجن في أمريكا عام 2010م بسبب استيلائه على أموال من البنوك وأفرج عنه في عام 2011 م ، ومؤخراً ألقى القبض عليه مرة أخرى لا بسبب إنتاجه فيلماً مسيئاً أغضب ملياراً ونصف المليار من المسلمين ، ولكن لأنه خالف شروط الإفراج عنه ، ورفض القاض الإفراج عنه بكفالة لأنه حاول قبل ذلك إخفاء هويته ، وقيل أيضاً إن الاسم الأصلي لهذا الفيلم هو (المحارب الصحراوي : Desert Warrior) ، وقد اعترض الممثلون العاملون في هذا الفيلم عليه قائلين إن منتج الفيلم خدعهم ، وقام فيما بعد بتغيير الحوار والأصوات الواردة في الفيلم ، بل إن إحدى ممثلات الفيلم قد أعلنت اتخاذ الإجراءات القانونية ضد منتج الفيلم .

## مادة الفيلم

هذا فيلم صادم ومثير للاشمزاز ، أسىء فيه إلى نبي عظيم من أنبياء الله تعالى وهو نبي المسلمين المحبوب الطاهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

في هذا الفيلم قدمت صورة لإنسان فاسد ثري وقوي ، وبسبب ثروته عرض عليه أحد الآباء أن يزوجه (ابنته الشابة : Young Daughter) ، ولهذا الرجل عدة زوجات ، ولكنه منحرف السلوك وله صديقة أيضاً ، ويظهر شبه عريان وهو يعربد مع نساء شبه عرايا ، ولهذا تضيق به زوجاته ويقمن بضربه بالأحذية والشباشب ، وهو كذلك يتحرش بالأطفال جنسياً ، كما أنه شاذ جنسياً ومجهول الأب أيضاً ، والأدهى من ذلك أن منتج الفيلم يدّعي أن هذا الشخص الفاسد هو نبينا المحبوب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (والعياذ بالله ثم العياذ بالله) في حين أنه على مدى الألف وأربعمائة عام الماضية لم يجرأ أحد من عتاة الأعداء على اتهام نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم بهذا الاتهام الكاذب ، ورغم أن الثقافة الغربية اليوم تحتوي على كل هذه التفاهات ، إلا أنه لا يمكن لأي أوروبي متحضر أن يتحمل مثل هذه الألفاظ ويقبلها لنفسه ، فما بالك باستخدام مثل هذه الألفاظ البذيئة في حق شخصية لا نظير لها في التاريخ الإنساني هي شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين المعصوم . والحقيقة أن هذا انعكاس في الأصل لسلوك منتج الفيلم وأفكاره الساقطة ، ومهما شجبناها واستنكرناها فإنها تستحق أكثر من ذلك .

# ناموس رسالة النبي العظيم صلى الله عليه وسلم

إن أكثر ذات محترمة ومقدسة في الإسلام بعد الله تعالى هي ذات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمه وتبجيله عليه الصلاة والسلام فرض على كل مسلم ومسلمة ، وفيما يلي نشير إلى بعض جوانب تعظيمه صلى الله عليه وسلم .

## تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء القرآن الكريم

قال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقَرِّبُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (١)

## تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء الحديث الشريف

عن أبي سعيد بن المعلبي رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ به وهو يصلي فدعا ، قال : فصليت ثم أتيت ، قال : فقال : " ما منعك أن تجيبي؟ " قال : كنت أصلي ، قال : " ألم يقل الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) (٢) " ، واستدل بالآية على وجوب إجابته صلى الله عليه وسلم إذا نادى أحداً وهو في الصلاة (٣) ، لأن المصلي يخاطبه بقوله "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" ، ولا يخاطب سائر الناس ، وأنه يجب عليه إجابته إذا دعاه ولا تبطل صلاته (٤) .

## سلوك آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته فيما يتعلق بتعظيمه

❖ فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمداً ، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلّك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفَضُوا أصواتهم عنده ، وما يحدثون النظر إليه تعظيماً له (٥) .

❖ عن عائشة أم المؤمنين قالت : وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها (٦) .

١ - القرآن : 48 : 8-9 .

٢ - القرآن : 24 . (سنن أبي داود : 1458 : كتاب الصلاة : باب 351) .

٣ - تفسير روح المعاني : سورة الأنفال : تحت آية رقم 24 .

٤ - الخصائص الكبرى : الجزء الثاني : ص 253 .

٥ - صحيح البخاري : 2731 ، 2732 : كتاب الشروط : باب 15 .

٦ - جامع الترمذي : 3872 : أبواب المناقب : باب 60 .

❁ روي عن وازع بن عامر قال : قدمنا فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذنا بيديه ورجليه نقبلها (7) .

❁ كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يقبلون يد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان التابعون الذين لم يشرفوا برؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقبلون أيدي الصحابة الكرام رضي الله عنهم، تلك الأيدي التي وضعوها في يد النبي صلى الله عليه وسلم يباعونه. قال ثابت لأنس: أمسست النبي صلى الله عليه وسلم بيدك؟ قال: نعم، فقبلها (8) .

❁ قال أبو هريرة وهو يحدثنا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا في المسجد يحدثنا ، فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه (9) .

❁ كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صاحب سواكه ونعله ، إذا قام النبي صلى الله عليه وسلم ألبسه إياهما، فإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم (10) .

### تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

قال القاضي عياض : واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه . قال أبو إبراهيم التيجيبي : واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ، ويتأدب بما أدبنا الله به (11) .

حدثنا ابن حميد قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله تعالى أدب قوماً (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (12) ، ومدح قوماً (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) (13) ، وذم قوماً (إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) (14) ، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً ، فاستكان لها أبو جعفر وقال : يا أبا عبد الله! أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه ، فهو وسيلتك ووسيلة

7 - الأدب المفرد للإمام البخاري : ص 288 .

8 - الأدب المفرد للإمام البخاري : ص 288 .

9 - سنن أبي داود : 4775 : كتاب الأدب : باب 1 .

10 - السيرة الحلبية : المجلد الثالث : ص 455 .

11 - شرح الشفا للقاضي عياض : المجلد الثاني : ص 72 .

12 - القرآن : 49 : 2 .

13 - القرآن : 49 : 3 .

14 - القرآن : 49 : 4 .

أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله . قال الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا) (15) .

### تعظيم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم

قال مالك : جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع ، فجلس وحدّثه ، فقال له الرجل : وددت أنك لم تتعّنّ ، فقال : إني كرهت أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع (16) .

### تعظيم آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتروكاته

عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس ، فقال : لأن تكون عندي شعرة منه أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها (17) .

قال ثابت البناني : قال لي أنس بن مالك : هذه شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضعها تحت لساني . قال: فوضعتها تحت لسانه ، فدفن وهي تحت لسانه (18) .

حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال اطلبوها فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها وإذا هي قلنسوة حلقة ، فقال خالد : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلّق رأسه وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلاّ رزقت النصر (19) .

وكان مع محمد بن إسماعيل البخاري شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في ملبوسه (20) .

عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مكان صلى فيه ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل تحت شجرة فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشجرة فيصبّ في أصلها الماء لكيلا تيبس (21) .

15 - القرآن : 4 : 64 . وانظر شرح الشفا للقاضي عياض : المجلد الثاني : ص 72 .

16 - شرح الشفا للقاضي عياض : المجلد الثاني : ص 77 .

17 - صحيح البخاري : 170 : كتاب الوضوء : باب 33 .

18 - الإصابة في تمييز الصحابة : الحافظ ابن حجر العسقلاني : الجزء الأول : ص 112 .

19 - المستدرک علی الصحیحین للإمام الحاكم : 5299 / 897 : الجزء الثالث : ص 339 .

20 - فتح الباري لابن حجر العسقلاني : المقدمة : ص 481 .

21 - كنز العمال : 37255 : الجزء الثالث عشر : ص 478 .

## محبة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

إن لذات النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام أهمية عظمى بحيث لا يكتمل إيمان مؤمن إلا حين يكون رسول الله أحب إليه من نفسه والناس أجمعين ، وهذا هو ما صرح به الله تعالى في قوله : (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (22) ، وفي هذا الخصوص نعرض حديثين شريفيين فيما يلي :

✽ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين (23) .

✽ حدثني أبو عقيل زهرة بن معبد أنه سمع جده عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله! لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك . فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر (24) .

## الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم

✽ يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) (25) .

في هذه الآية الكريمة ينبه الله تعالى أهل الإيمان أن إذا تحدثتم في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم فلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته صلى الله عليه وسلم ، وإذا خاطبتموه صلى الله عليه وسلم فلا تخاطبوه بصوت مرتفع مثلما تخاطبون بعضهم البعض ، وكذلك لا تنادوه باسمه مثلما تنادون بعضهم بعضاً ، وإنما عليكم أن تنادوه بكل أدب واحترام بلقبه الكريم ، على سبيل المثال يمكن أن تنادوه قائلين يا رسول الله ، لأنكم إن لم تنتهوا إلى مراعاة الأدب والاحترام فستذهب كل حسناتكم هباءً دون أن تشعروا بسبب إساءتكم وعدم تأديبكم هذا . إن عدم التأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدّ ذنباً عظيماً بحيث يمكن أن يضيع الأعمال الصالحة المخلصة لشخصيات مقدسة عظيمة مثل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فما بالك بمقصرين مثلنا ، ماذا يحدث مع حسناتهم إن أساءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله .

22 - القرآن : 9 : 24 .

23 - صحيح البخاري : 15 : كتاب الإيمان : باب 8 .

24 - صحيح البخاري : 6632 : كتاب الأيمان والنذور : باب 3 .

25 - القرآن : 49 : 2 .

يقول الله تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا زَاعِنًا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) (26).

وحين كان يستعصي على الصحابة الكرام رضي الله عنهم فهم شيء مما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقولون (زاعيناً) ، والمفهوم الظاهري له أن يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! إننا لم نستطع فهم قولك على خير وجه ، فتكتم بمراعاتنا وأعد علينا ما قلته . لكن المنافقين كانوا يحرفون اللفظ فيقولون (راعيناً) بدلاً من (زاعيناً)، أي (راعي مواشينا) ، ولأن هذا اللفظ يحمل الإساءة في جانب منه لهذا أمر الله تعالى الصحابة الكرام أن يستبدلوا لفظ (زاعيناً) بعد ذلك بقولهم (انظُرْنَا) ، أي انظر إلينا بعين الكرم ، إذ أنه لا مجال لأي احتمال فاسد فيه ، ويعلم من هذا أن استعمال أي لفظ يحمل الإساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوع تماماً ، لأن الإساءة إليه صلى الله عليه وسلم تضيّع الإيمان وتفسده ، وإذا كان الله تعالى لا يسمح لأحد بأن يتفوه بلفظ فيه احتمال الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكيف نتحمل نحن مثل هذه الألفاظ والمناظر التي تعبّر عن إساءة سافرة وواضحة إليه عليه الصلاة والسلام!

ما أحسن الصلاة وما أحسن الزكاة وما أحسن الحج، لكني مع ذلك لا أكون مسلماً  
إلا حين أبذل نفسي فداءً لسيد البطحاء ، ويشهد الله أن إيماني لا يكتمل إلا بذلك .

#### الإساءة إلى الشخصيات الدينية في الإنجيل

- الذي يسيئ إلى الله تعالى سيقتل وسترجمه الجماعة كلها ، وهذا القانون يشمل كل من يسيئ إلى الله سواء كان إسرائيلياً أم لا (27) .
- إذا لم يخضع المدعى عليه لحكم القاضي أو القائد الديني الذي عين من قبل الله تعالى فإن جزاءه الموت ، ويجب تطهير بني إسرائيل من أمثال هؤلاء المذنبين حتى يعلم الجميع أن من لا يطيع حكم الله سيقتل ، وبالتالي لن يجزأ أحد بعد ذلك على إنكار حكم القاضي (28) .

ملحوظة :

إن الإسلام لا يعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقط ، وإنما يعظم كل الأنبياء الكرام عليهم السلام وكل الكتب المقدسة أيضاً مثلما قال الله تعالى : (كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) (29) ، أي أن المسلمين يؤمنون بالأنبياء جميعاً وبالكتب المقدسة ويعظمونها .

26 - القرآن : 2 : 104 .

27 - الإنجيل الحّي : الأخبار : 24 : 16 .

28 - الإنجيل الحّي : الاستثناء : 17 : 13 - 12 .

29 - القرآن : 2 : 285 .

## إشارات تجافي الحقائق في الفيلم المسيئ

إن هذا الفيلم لا يستحق أصلاً أن يعلّق عليه بشكل علمي ، لأنه أورد أموراً وضيعة ومكذوبة عن شخصية صادقة أمينة معصومة ولا نظير لها في تاريخ الإنسانية كلها ، ولم يجراً حتى ألدّ أعداء الإسلام على قولها طيلة الألف وأربعمائة عاماً الماضية ، إلاّ أنني هنا أودّ أن أوضح بعض الإشارات السلبية على سبيل المثال ليس إلاّ ، حتى يعلم القارئ إلى أي مدى حاول منتج الفيلم مسخ الحقائق وتشويهها جنباً إلى جنب مع أسلوبه المخجل المغرق في الاستهزاء والسخرية :

### أولاً : أنه صلى الله عليه وسلم مجهول الأب

إن اسم والد النبي صلى الله عليه وسلم هو سيدنا عبد الله مثلما كتب العلامة نور الدين الحلي : كان عبد الله بن عبد المطلب أحسن رجل في قريش خلقاً وخلقاً<sup>(30)</sup> .

والأدبيات الإسلامية كلها لا تتفق فقط على أن اسم والد النبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ، وإنما يعترف بذلك غير المسلمين أيضاً ، وهذه بعض أمثلة على ذلك :

✻ الموسوعة البريطانية : اسم محمد بالكامل هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (ولد عام 570م في مكة بالجزيرة العربية وتوفي في الثامن من شهر يونيه عام 632م بالمدينة) ، وهو مؤسس الدين الإسلامي<sup>(31)</sup> .

✻ فيليب كي حتي : في عام 571 للميلاد تقريباً ولد طفل في قريش مكة ، واسمه الذي ورد في القرآن (أربع مرات) هو محمد كما ورد مرة باسم أحمد ، ووالد هذا الطفل هو عبد الله وقد توفي قبل مولده ، وأمه هي آمنة وتوفيت وهو في السادسة من عمره تقريباً<sup>(32)</sup> .

✻ ول ديورانت : في عام 568م تزوج الابن عبد الله من آمنة من نسل قصي أيضاً ، ومكث عبد الله مع عروسه لثلاثة أيام ثم خرج في قافلة تجارية ومات في المدينة في طريق عودته ، وبعد شهرين (569م) ولدت آمنة أهم شخصية في العصور الوسطى على الإطلاق<sup>(33)</sup> .

✻ دي سي مرجليوث : ولد محمد لأبوين مكيين هما عبد الله وآمنة ، وتنتمي الأخيرة إلى بني زهرة بينما كان الأول ابن عبد المطلب من قبيلة بني هاشم ، ومن المتفق عليه أن والد هذا النبي المنتظر قد مات قبل أن يولد الطفل<sup>(34)</sup> .

30 - السيرة الحلبية : المجلد الأول : ص 48 .

31 - الموسوعة البريطانية - مجلد 8 - ط 15 - تحت (محمد) .

32 - تاريخ العرب لفيليب كي حتي - ص 111 .

33 - عصر الإيمان من عام 325 إلى عام 1300 - ول ديورانت - ص 162 .

34 - محمد وظهور الإسلام - دي سي مرجليوث - ص 45 .



وعلى مدى الألف وأربعمائة عاماً الماضية لم يجرأ أعتى المعارضين على إنكار نسب نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم ، ولكن البيئة التي يعيش فيها منتج الفيلم هي بيئة تتزايد فيها أعداد أولاد الزنا ، ولذا كان حاله كأعمى يفكر لمسافات بعيدة في ظلام دامس، وأقْدَم مثلاً على ذلك هنا .

كان هناك شاب أفريقي يعمل في صيدلية الدكتور غفران بنيويورك ، وكانت والدته تأتي إلى أمريكا كل عام أيام العطلات ، وكان هذا الشاب يأخذ إجازة من العمل في الصيدلية ليصحب والدته في تنزهها وزيارتها للبلاد ، وذات مرة سأل الدكتور غفران هذا الشاب قائلاً : إن والدتك تزور أمريكا كل عام ولم نر والدك هنا أبداً ، هل توفي والدك أم لا يزال على قيد الحياة؟ وإن كان على قيد الحياة فأين يعيش؟ فقال الشاب الأفريقي : أنا لا أعرف أبي ، ولكني سأسأل أمي عنه عندما تأتي إلى أمريكا هذه المرة . وعندما سأل الشاب الأفريقي أمه عن أبيه قالت : في الحقيقة كنت أشتاق كثيراً لأن أنجب، وكنت حينئذ في فرنسا أمضي العطلات ، وكنت على علاقة بعدة رجال ، ولذا يصعب عليّ كثيراً أن أحدد أنت ابن من فيهم .

## ثانياً : ورقة بن نوفل والقرآن المجيد

في هذا الفيلم تظهر السيدة خديجة رضي الله عنها وهي تطلب المساعدة من ابن عمها ورقة بن نوفل الذي يقول إنه سوف يعدّ كتاباً لسيدنا محمد من التوراة والإنجيل ، لكن المنية تعاجل ورقة وينتهي بذلك الإلهام ، مما جعل سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم يحاول الانتحار .

وهذا الكلام افتراء وتحريف من أوله إلى آخره ، وتصحيحاً لهذا أورد هنا حادثة نزول القرآن وموقف ورقة معها حتى تتضح الحقيقة .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى رؤى صادقة في منامة قبل البعثة بستة أشهر، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء ، وكانت الأحجار حينئذ تلقي عليه السلام مثلما ورد عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن" (35) .

## كيفية نزول الوحي لأول مرة

كان النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : يا محمد! أنا جبريل وأنت رسول الله ، ثم قال : اقرأ (36) ، قلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطّني الثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) (37) ،

35 - صحيح مسلم : 5939 : كتاب الفضائل : باب 1 .

36 - تفسير ابن جرير الطبري : سورة العلق .

37 - القرآن : 96 : 1-5 .

فرجع بما رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني ، زملوني ، فرملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر - : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل - ابن عم خديجة - وكان امرأاً قد تنصّر في الجاهلية ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت خديجة : يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذع ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي (38) .

### حقيقة اضطراب النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ

❖ لقد كان هذا الاضطراب حينذاك فطرياً ، لأنه صلى الله عليه وسلم نزل عليه كلام عظيم لو نزل على جبل لتصدّع ولما تحمله وهو الراسخ القوي مثلما قال تعالى (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) (39) ، لهذا فإن مثل هذا الاضطراب ليس دليلاً على ضعف أو نقص ، وإنما دليل العظمة والكمال .

❖ ولم يكن هذا الاضطراب لأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن على يقين من نبوته أو أنه لم يكن يعرف ماذا حدث معه ، إذ أن الحقيقة هي كما أنه من الواجب على كل فرد من متبعي النبي أن يؤمن بنبوة نبيه فمن الضروري لكل نبي أيضاً أن يؤمن بنبوته مثلما قال الله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) (40) . ويتحقق هذا الإيمان للأمة بعد أن تستمع لدعوة نبيها ودلائله عليها ، لكن إيمان النبي بنبوته ومعرفة قلبه بذلك يكون من الله تعالى ولا يحتاج إلى معجزة أو دليل ، وقد ظهرت للنبي صلى الله عليه وسلم إشارات عديدة على نبوته قبل البعثة مثلما كتب العلامة أحمد بن محمد القسطلاني : وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا سلّم عليه وسمع منه ، فإلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة : السلام عليك يا رسول الله! (41) .

والآن تمعن قليلاً ، هل يمكن أن يتخيل أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم بأمر نبوته فاضطرب وخاف ، وهو الذي كانت أحجار مكة قبل البعثة تحبّه أنه نبي الله ، وجاءه جبريل عليه السلام في الغار وأخبره أنه رسول الله! لكن تخيل أحد ذلك بعد كل هذا فإن عليه تأكيداً أن يراجع نفسه .

38 - صحيح البخاري : 3 : كتاب بدء الوحي : باب 1 .

39 - القرآن : 59 : 21 .

40 - القرآن : 2 : 285 .

41 - المواهب اللدنية : الجزء الأول : ص 200 .

إن مما لا يليق بشأن النبي أن ينزل عليه جبريل بالوحي ولا يعرف هو من نزل عليه ، ويأتي فرد ثالث (ورقة بن نوفل) ليخبره أن الذي نزل عليه في غار حراء هو الملاك جبريل الأمين ، في حين أن أحجار مكة من قبل والأمين جبريل نفسه قد أخبراه صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله .

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال فحواه أنه إذا النبي صلى الله عليه وسلم يعلم من قبل نبوته فلماذا ذهب إذاً إلى ورقة بن نوفل ، والجواب على هذا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال في حضرة الله تعالى : ( رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ) فقال له الله : ( قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ) (42) . لقد كان النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه على يقين من نبوته ، كما كان على يقين أيضاً من أن السيدة خديجة رضي الله عنها ستؤمن بدعوته فور أن يدعوها إليها ، لكنه ذهب إلى ورقة بن نوفل حتى تطمئن السيدة خديجة أولاً .

### حديث الانتحار

كان أول اضطراب شعر به النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول الوحي عليه ، وأخبر به السيدة خديجة رضي الله عنها نتيجة إحساسه بالمسؤولية خشية أن يحدث منه تقصير في تبليغ رسالة النبوة ، ولما توقف الوحي عن النزول عليه لفترة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر نزوله ثانية على أحر من الجمر ، حتى أنه أراد أن يلقي بنفسه من فوق قمة الجبل مخافة أن يكون سبب هذا التوقف سخط الله تعالى مثلما كتب العلامة عيني يقول : خاف ان الفترة لأمر أو سبب فخشي أن يكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك (43) . إن إغضاب محبوب من أهل الدنيا أمر لا يمكن تحمله ، وفي بعض الأحيان يدفع هذا الاضطراب بالمحب إلى الانتحار ، ولكن حين يتصور محب صادق غضب محبوبه الحقيقي فإن اضطرابه لا يمكن التكهّن بمداه .

ويعلم من مطالعة هذه الواقعة أن نزول القرآن الكريم كان قد بدأ قبل أن تتصل السيدة خديجة رضي الله عنها بورقة بن نوفل ، وأن الجزء الأكبر من القرآن الكريم نزل في أحوال مختلفة وبعد وفاة ورقة ، فلو أن ورقة هو الله أعدّ وألف القرآن الكريم فكيف يأتي ذكر أحداث في القرآن الكريم وقعت بعد وفاة ورقة مثل واقعة المعراج وغزوة بدر وغزوة الأحزاب وغزوة حنين وغيرها؟ كما أن سبب اضطراب النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن وفاة ورقة وإنما كان بسبب فتور الوحي .

والحقيقة أن الشخص الذي يستطيع الاحتيال على بنك حكومي في أمريكا القوة العظمى الوحيدة في القرن الحادي والعشرين ويغير من شخصيته وهويته لا يخجله أن يحرف أو يبدل في واقعة حدثت منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام .

42 - القرآن : 2 : 260 .

43 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري : المجلد الأول : ص 55 .

## ثالثاً : الحمار أول حيوان أسلم

هل يمكن أن أسأل كيف كان الحمار حين ركبته سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام؟ ألم يكن الحمار مسلماً في ذلك الوقت؟ يقول القرآن (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) (44) ، وكل شيء في الكائنات سواء كان ذا روح أم لا يسبح الله تعالى ، ولذا فإن كل شيء مسلم ما عدا المتمردين من الإنس والجن ، بل إن كل شيء يعترف بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً لله باستثناء المتمردين من الجن والإنس كما روي عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عصي الجن والإنس (45) .

## رابعاً : قتل المسلمون عجوزاً

تظهر في هذا الفيلم عجوز غير مسلمة تم قتلها بعد تقييد قدميها خلف جمل ، وحاول الفيلم في هذا المنظر إظهار المسلمين في صورة الممحين الظالمين القساة ، وهو أمر خاطئ تماماً ، بل إنه كما يقول المثل نحر اللص الخفير بدلاً من أن ينهره الخفير ، والحقيقة أن هذه الواقعة تخص أول شهيدة في الإسلام السيدة سمية رضي الله عنها والتي قتلها كفار مكة مثلما كتب المفسرين أن قريشاً أمسكت بالسيدة سمية رضي الله عنها وحاولت إجبارها على ترك الإسلام ، ولما رفضت السيدة سمية رضي الله عنها ربطها كفار قريش بين جملين ، أي ربطوا إحدى قدميها في جمل والآخرى في جمل آخر ، وضربها أبو جهل لعنه الله بحربة في عورتها ، ثم جعل الجملين يجريان في اتجاهين متعاكسين حتى شطراها إلى شطرين فأصبحت أول شهيدة في الإسلام (46) ، وإن أراد أحد اليوم أن يرى هذا السلوك الممحي لكفار مكة بشكل عملي في القرن الحادي والعشرين فعليه أن يطالع ما يجري في سجن (بجرام) بأفغانستان وسجن (أبو غريب) في العراق حيث جرد الجنود غير المسلمين المعتقلين المسلمين من ملابسهم كيوم ولدتهم أمهاتهم وأطلقوا عليهم الكلاب .

لقد كرم نبينا محبوب صلى الله عليه وسلم المرأة أيما تكريم ، حتى أنه لم يسمح بقتل امرأة كافرة في ميدان الحرب مثلما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان (47) ، بل إن المرأة المسلمة إذا ارتدت فإنها لا تقتل ، وإنما تعتقل كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لا تقتل النساء إذا هن ارتدن عن الإسلام ، ولكن يجسن ويدعين إلى الإسلام (48) .

## خامساً : شبه عار

وفي هذا الفيلم أظهر النبي صلى الله عليه وسلم شبه عار في حين أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر حياءً من الفتاة العذراء.

44 - القرآن : 62 : 1 .

45 - مسند أحمد : المجلد الثالث : ص 310 .

46 - تفسير ضياء القرآن وتفسير منير : سورة النحل (16) : تحت آية رقم 106 .

47 - صحيح البخاري : 3015 : كتاب الجهاد : باب 148 .

48 - كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : المجلد الخامس : ص 426 .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه (49) .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمّه : يا ابن أخي! لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة ، قال : فحلّه فجعله على منكبيه ، فسقط مغشياً عليه ، فما رأي بعد ذلك عرياناً صلى الله عليه وسلم (50) .

لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحضر الحجارة أثناء ترميم الكعبة ، ولما كانت الحجارة قاسية خشنة وقد تتسبب في جرح وإيذاء كتفه الشريفة لهذا قال العباس رضي الله عنه لابن أخيه صلى الله عليه وسلم على سبيل العطف والشفقة أن يحلّ إزاره ويضعه على كتفه ثم يحمل فوقه الحجارة ما يجعل الأمر سهلاً ، وبالفعل أطاع النبي صلى الله عليه وسلم قول عمه وحلّ إزاره ووضع على كتفه ، وما أن فعل ذلك حتى وقع مغشياً عليه ، ولم يعد إليه وعيه حتى لفّ إزاره على وسطه مرة أخرى ، ولذا لم يتّيح لأحد أبداً أن يطلع على عورته صلى الله عليه وسلم ، كما أن ابن عباس رضي الله عنه لم يشر عليه صلى الله عليه وسلم إلاّ بحلّ الإزار فقط ، وليس من بين هذا خلع القميص ، والقميص عند العرب طويل إلى درجة أنه لو تمّ حلّ الإزار فإنّ الإنسان لا يتعرى في الأحوال العادية ، ولكن لأنه عند حمل الأحجار يضطر الإنسان إلى الانحناء مما يزيد من إمكانية التكشف ، وهذا الأمر البسيط أيضاً لا يليق بشأن حياء النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أغشي عليه للحظات من شدة إحساسه بالموقف ، وما أن سقط على الأرض حتى عاد إليه وعيه فستر عورته ، وبالتالي فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكشف في ذلك الوقت كما لم يتكشف بعدها أبداً مثلما ورد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي (51) .

وقال الزهري : لما بنت قريش الكعبة لم يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الحلم ، وقال ابن بطال وابن التين : كان عمره خمس عشرة سنة (52) . ويعلم من هذا أن هذه الواقعة لم تحدث عند تعمير الكعبة حيث وضع النبي صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود في مكانه بيديه الشريفتين ، إذ كان عمره صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت خمساً وثلاثين سنة ، وإنما ترجع هذه الواقعة إلى طفولته صلى الله عليه وسلم قبل هذا التاريخ حيث كان يتم ترميم جزء من الكعبة التي كان قد طال عليها الزمن فكان المطر الشديد كلما نزل مندفعاً من الجبال ألحق الأضرار بجدران الكعبة وأرضيتها .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، وفي رواية عنها : ما رأيت منه ولا رأى مني (53) .

49 - صحيح البخاري : 364 : كتاب الصلاة : باب 8 .

50 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري : الجزء الرابع : ص 72 : حديث 364 .

51 - المعجم الأوسط للطبراني : 6144 : الجزء السابع : ص 88 ، كنز العمال : 32134 : الجزء الحادي عشر : ص 454 .

52 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري : الجزء الرابع : ص 71 : حديث 364 .

53 - المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية : الشيخ سليمان الأزهرى الشافعي : المجلد الثاني : ص 357 / 356 ، شرح القاضي عياض : المجلد الأول : ص

فالزوج والزوجة الذي هذا حالهما بحيث أن أحداً منهما لم ير عورة الآخر أبداً فإن إظهاره شبه عار مع نساء شبه عاريات فهو أكبر افتراء وبهتان في تاريخ الإنسانية كلها .

❁ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول : إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً (54) . فكيف يتوقع من إنسان لا ينطق بفحش ولا بما يחדش الحياء أبداً أن يرتكب من الأعمال ( الظهور شبه عار) ما يعدّ فحشاً وعرياً . إن مثل هذا التصور درب من المستحيل بل هو الجنون نفسه .

## سادساً : عمر السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وزواجها

أظهر هذا الفيلم شخصاً يقول لزوجته : لنزوج ابنتنا الصغرى بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وحين تردّ الزوجة بأن ابنتنا لا تزال صغيرة فإنه يقول : إن محمداً قويّ وثريّ ، ولذا يجب أن نتمّ هذا الزواج . وأعتقد أن الفيلم يشير هنا إلى زواج السيدة عائشة رضي الله عنها في صغر سنّها ، وهذا اعتراض ليس جديداً ، وأكثر المستشرقين لا يملّون من ترديد هذا الاعتراض ، وإليك جوابه فيما يلي .

كان عمر النبي صلى الله عليه وسلم حين عقد على السيدة عائشة رضي الله عنها أربعة وخمسين عاماً ، وطبقاً لما ورد في كتب الأحاديث كان عمر السيدة عائشة رضي الله عنها في ذلك الوقت تسع سنوات ، وقد رغب الإسلام في التعجيل بتزويج البنت أو الولد بعد البلوغ ، وهناك بعض الفتيات يبلغن بسرعة على غير المألوف مثلما هو الحال في أوروبا وأمريكا ، حيث تبلغ الفتاة عند سن الحادية عشرة ، ومع ذلك فقد قرأنا عن فتيات حملن وهنّ في سن الثامنة ، وليس من المستبعد أن تكون السيدة عائشة رضي الله عنها قد بلغت قبل السن المألوف ، كما أن السيدة عائشة كانت تتسم بالفطنة وحدة الذكاء منذ طفولتها ، وكان الهدف من الزواج بها في هذه السن الصغيرة أن يهتم بأمر تعليمها وتربيتها لتصبح داعية ومعلمة مرموقة ، لكن اللاهثين وراء الجديده من الناس يرجحون الأحوال الظاهرة على غيرها وينتقدون الزواج في عمر التاسعة ، ولذا فإنني أقدم لهؤلاء وجهة نظر أخرى تؤكد أن زواج السيدة عائشة رضي الله عنها لم يكن في التاسعة وإنما في التاسعة عشرة (55) ، كما كتب العلامة غلام رسول سعدي أنه طبقاً للتصريح بأسماء الرجال فإن السيدة أسماء رضي الله عنها أخت السيدة عائشة رضي الله عنها كانت أكبر منها بعشر سنوات ، وقد جاء في الإصابة وأسد الغابة أن عمر السيدة أسماء رضي الله عنها عند الهجرة كان سبعاً وعشرين سنة ، وطبقاً لهذا الحساب فإن عمر السيدة عائشة رضي الله عنها إذ ذاك كان سبعة عشر عاماً (56) . وفي المقابل فإن عمر السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في السنة الثانية للهجرة عند زواجها كان تسعة عشر عاماً ، ومن هذا الاعتبار فإن عمر السيدة فاطمة والسيدة عائشة رضي الله عنهما عند الزواج كان متساوياً تقريباً .

ولهذا فإنه طبقاً للأبحاث الحديثة كان عمر السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها عند الزواج تسعة عشر عاماً وكان عمر النبي صلى الله عليه وسلم إذ ذاك أربعة وخمسين عاماً . واليوم في بريطانيا وأمريكه إن أردت فتاة في عمر الثامنة عشر أو

54 - صحيح البخاري : 3559 : كتاب المناقب : باب 23 .

55 - راجع تفصيل ذلك في كتاب Hazrat Aisha Siddiqah R. A. : السيدة عائشة الصديقة رضي الله عنها - من 11 إلى 24 .

56 - شرح صحيح مسلم : المجلد 3 : ص 831 .

التاسعة عشر الزواج برجل يزيد عمره عن عمرها بثلاثة أضعاف ، أي من 50 إلى 60 عاماً فلا يستطيع أحد أن يمنعها من ذلك، بل الحقيقة هي أن مثل هذا الزواج يتم وبكثرة ، فالطعن إذاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الخصوص لا يليق بأحد .

## سابعاً : قضية أزواج النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات

يقرر هذا الفيلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له من الزوجات إحدى وستون زوجة ، وبزّر هذا التعدد الكبير في الزوجات بالرغبة في الإشباع الجنسي ، ورغم أن هذا العدد مبالغ فيه بخمسة أو ستة أضعاف ، إلا أن هذا على أية حال اعتراض قدّم أثاره المستشرقون وإليك الردّ عليه .

عندما نلقي نظرة سريعة على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرة بغرض الردّ على هذا الاعتراض فإنه لا يمكن لرجل منصف أن يحمل تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم على الإشباع الجنسي ، لأن سيطرة الرغبات الجنسية على الإنسان بشكل عام تكون فيما بين الخامسة عشرة والخمسين من العمر ، وقد تحكّم النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرغبات بشكل لا مثيل له فيما بين الخامسة عشرة وحتى الخامسة والعشرين من العمر مقدماً بذلك نموذجاً جميلاً لا يستطيع معه حتى العدو أن يشكك في عفته صلى الله عليه وسلم وطهارة ذيله ، ثم تزوج النبي صلى الله عليه وسلم للمرة الأولى في سن الخامسة والعشرين من أرملة (السيدة خديجة رضي الله عنها) تكبره بخمسة عشر عاماً ، وقد قضى النبي صلى الله عليه وسلم مع هذه الأرملة خمسة وعشرين عاماً ، وعليك أن تتأمل قليلاً أنه عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره كانت زوجته السيدة خديجة رضي الله عنها في الخامسة والستين من عمرها ، ومع ذلك وفي هذه الشيخوخة التي بلغتها زوجته لم يفكر مطلقاً في أن يتزوج عليها ، وبالرغم من ذلك يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بسيطرة الرغبة الجنسية عليه ، فهل هناك افتراء وكذب أكبر من هذا في هذه الدنيا؟ لا أظن!

هذا العمر الذي بلغ الخمسين وهذا الوقت من عنفوان الشباب كان جلياً للعيان أمام أنظار أهل مكة ، ولم يجراً واحد من أعدائه صلى الله عليه وسلم على أن يشير بأصابع الاتهام إلى حياته المعصومة صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالانحراف الجنسي ، وإنما على العكس من ذلك ، كانوا يلقبونه بالصادق الأمين ، ولو كان سبب تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم هو الإشباع الجنسي والرغبات النفسية لكان الأحرى به أن يفعله في وقت الشباب وليس وقت الشيخوخة .

دعت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا حتي لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا (أي فيصير لك الأمر والنهي) ، وإن كنت تريد من النساء فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً ، ولكن ارجع إلي ديننا واترك ما أنت عليه (57) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو وُضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتي يظهره الله أو أهلك في طلبه (58) .

57 - السيرة الحلبية : المجلد الأول : ص 430 .

58 - البداية والنهاية : المجلد الأول : ص 383 .

فهل هناك في هذا العالم المادي رغبة أكبر من أن يصبح الإنسان حاكماً على بلده وأغنى من فيها ، ولو كانت هناك ذرة من التفكير في ذهن النبي صلى الله عليه وسلم في كثرة الأزواج والأموال والوصول إلى الحكم لما كان هناك أفضل من هذا العرض الذي عرضته عليه قريش ، لكن هدف النبي صلى الله عليه وسلم الوحيد كان تبليغ دعوة التوحيد ، وفي سبيلها واجه مصائب تفوق الجبال قوة ، لكنه لم يتخلل أبداً عن مهمة تبليغ التوحيد .

وبعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها ، وحتى سن الرابعة والخمسين لم يحتفظ النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من زوجة واحدة على ذمته ، أما باقي الزوجات فقد تزوج بهن فيما بين الرابعة والخمسين والتاسعة والخمسين من عمره ، ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بعد التاسعة والخمسين ، وبالتالي لا يستطيع عاقل الاقتناع بأن إنساناً ما يكتفي بزوجة واحدة في وقت واحد حتى سن الرابعة والخمسين ، ثم فجأة يعتريه طوفان من الرغبة الجنسية يجبره على الزواج بأكثر من زوجة في وقت واحد ، في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام رفيع من ضبط النفس حتى أنه كان لا يحتاج إلى طعام لعدة أيام يواصل فيها الصيام ، فكيف لمثل هذه الشخصية العظيمة أن لا تستطيع الاكتفاء بزوجة واحدة لعدة سنوات في أواخر شيخوخته؟

لقد سقى جمالك العقل جنوناً والجنون عقلاً فجمالك يأتي بالمعجزات وقتما يشاء

لقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها هي البكر الوحيدة بين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ، أما الباقيات فكن أرامل مستات أو مطلقات ، كما أن زواجه صلى الله عليه وسلم بأكثر من زوجة في وقت واحد بدأ عندما أصبح الحاكم الوحيد للدولة الإسلامية ، وكان الآلاف المؤلفين من الناس على أتم استعداد لبذل أرواحهم بإشارة منه ، ولو كان زواجه صلى الله عليه وسلم بدافع الرغبة الجنسية لاختار البكارى العذارى فقط ، لكنه صلى الله عليه وسلم تزوج من نساء مسنات محتكات ذكيات دينات حتى يمكنهن العمل بالدعوة الإسلامية في مجال قضايا النساء التي يصعب الحديث عنها بسبب الحياء والخجل مثل قضايا (الحيض والنفاس والقضايا الزوجية) .

أسباب تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

إن المرأة عنصر هام من عناصر المجتمع ، ولا يمكن أن نبني مجتمعاً طيباً دون تربية وتعليم على مستوى جيد للمرأة ، والمجتمع الذي أضاع فيه النبي صلى الله عليه وسلم مصباح الإسلام كان يتخبط في ظلام الجهالة منذ قرون عديدة ، أما المجتمع الذي يريد الإسلام تشكيله فيمتنع فيه الاختلاط الحرّ غير المقيّد بين الرجال والنساء ، ولهذا كانت الحاجة ماسة في مثل هذا المجتمع إلى عدد كبير من النساء يتعلمن على يد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم للقيام بأمور الإرشاد والهداية بين النساء ، ولذا فقد أجاز الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الزواج بأكثر من أربعة حتى لا يكون هناك خلل أو تقصير فيما يتعلق بإرشاد النساء في الأمور الدينية .



لقد حج النبي صلى الله عليه وسلم في حياته مرة واحدة وهي حجة الوداع ، وفي هذا الحج اصطحب النبي صلى الله عليه وسلم زوجته المطهرات جميعاً معه حتى يمارس جميعاً مناسك الحج بشكل عملي فلا يجدن صعوبة بعد ذلك في تعليم النساء هذه المناسك .

إن لكل حياة إنسانية جانبين ؛ جانب خارجي يظهر أمام الناس وآخر عائلي وأسري داخل بيته وبين أهله وهو الجانب الذي يحاول الإنسان إخفاء تفاصيله ، وهذان الجانبان في حياة نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم في غاية العظمة ، ولهذا جعل الله تعالى حياة النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الممتاز الذي نحتديه ، كما هيأ الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جماعتين مخلصتين قامتا ببيان تفاصيل حياة النبي صلى الله عليه وسلم بكل إخلاص وصدق وعلى أحسن ما يكون ، واحدة من هاتين الجماعتين هي جماعة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وهم الذين نقلوا إلى الناس الجانب الخارجي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الجماعة الثانية فهي جماعة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهنّ اللائي نقلن إلى الناس الجانب الداخلي الأسري من حياته صلى الله عليه وسلم ، وكأن نصف الدين نقله إلينا الصحابة الكرام والنصف الآخر تلقيناه على يد الأزواج المطهرات رضي الله عن الجميع ، وهناك ثروة كبيرة من الأحاديث النبوية وصلت إلى الأمة برواية الأزواج المطهرات ، وعلى سبيل المثال فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث ، وروت السيدة أم سلمة رضي الله عنها ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً وكلها موجودة في كتب الأحاديث .

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج من قبائل العرب المختلفة حتى يقيم معها جميعاً علاقات وطيدة ، وبالتالي يؤدي هذا إلى مزيد من الانتشار والقوة للإسلام . على أية حال هناك الكثير من الأهداف التعليمية والاجتماعية والعائلية والدعوية والسياسية في خلفية تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى سبيل المثال كانت بعض القبائل على عداء وحرب مع الإسلام ، ولكن حين تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من هذه القبائل تراجع عداوة هذه القبائل بفضل قرابة النسب هذه ، بل وفي النهاية أسلمت هذه القبائل .

### تحليل المستشرق المعروف منتوجمري وات

أما آخر شئ يجب أن نضعه في الاعتبار حين نتحدث عن تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فهو أنه كان يستعمل زواجه وزواج صحابته المقربين لأهداف سياسية ، وهذا تقليد كانت تعرفه العرب من قبل ، ولهذا فإن كل زوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) كان من بين دوافعها مزيد من العلاقات السياسية ، فقد تيسر له صلى الله عليه وسلم المال بزواجه من السيدة خديجة (رضي الله عنها) ، كما أن تأثيره في السياسة المكية بدأ أيضاً مع هذا الزواج ، وأما زواجه من السيدة سودة بنت زمعة والسيدة زينب بنت خزيمة (رضي الله عنهما) فكان الهدف الأعظم من ورائه تهيئة مأوى محترماً لأرامل المسلمين المخلصين ، لكن أخو زوج السيدة سودة (رضي الله عنها) كان شخصاً لم يرد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يواجهه بالعداء الصريح ، بينما كان زوج السيدة زينب (رضي الله عنها) ينتمي إلى قبيلة بني المطلب ، والتي كان محمد (صلى الله عليه وسلم) يحمل مسؤوليات خاصة تجاهها ، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يؤسس لعلاقات طيبة مع قبيلة عامر بن صعصعة بزواجه من السيدة زينب (رضي الله عنها) ، وكانت أول زوجتين له (صلى الله عليه وسلم) في المدينة هما السيدة عائشة (رضي الله عنها) والسيدة حفصة (رضي الله عنها) وهما ابنتا أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وكان لمحمد (صلى الله عليه وسلم) علاقة خاصة

بهما ، (وبعد ذلك وبناءً على هذه العلاقة الخاصة تزوج عمر (رضي الله عنه) من السيدة أم كلثوم بنت علي (رضي الله عنهما) حفيدة محمد (صلى الله عليه وسلم) . أما أم سلمة (رضي الله عنها) فلم تكن أرملة فقط ، وإنما كانت قريبة سيد بني مخزوم القبيلة المكية ، وكانت السيدة جويرية (رضي الله عنها) ابنة سيد قبيلة بني المصطلق والتي كانت علاقة محمد (صلى الله عليه وسلم) بها قد ساءت كثيراً ، وأما السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) فلم تكن ابنة عمّة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقط وإنما كانت فرداً من قبيلة حليفة لقبيلة بني عبد شمس أيضاً ، لكن الدوافع الاجتماعية والسياسية هي التي طغت في أمر زواجها ، لأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) كان يبغى من وراء هذا الزواج إظهار أنه قطع كل علاقة له بالعادات القديمة ، وكانت القبيلة المكية عبد شمس وأبو سفيان بن حرب بصفة خاصة مطمح نظر محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وكان لأبي سفيان ابنة مسلمة هي أم حبيبة (رضي الله عنها) ، وكانت متزوجة من أحد إخوة السيدة زينب بنت جحش (رضي الله عنها) ، ولما مات زوجها في الحبشة أرسل النبي (صلى الله عليه وسلم) رسولاً إلى الحبشة ليقوم بالتجهيزات النهائية لزواج النبي من أم حبيبة ، وكان زواجه (صلى الله عليه وسلم) من السيدة ميمونة (رضي الله عنها) مما يزيد العلاقة مع سيدنا العباس (رضي الله عنه) قوة ومثانة وهو الذي كان عمّ محمد (صلى الله عليه وسلم) وأخو زوجها ، وأما النساء اللاتي من أصل يهودي ، يعني السيدة صفية (رضي الله عنها) والسيدة ربحانة (رضي الله عنها) فكانت علاقته (صلى الله عليه وسلم) بهما ذات أهداف سياسية أيضاً<sup>(59)</sup> .

### حياة النبي صلى الله عليه وسلم الأسرية

رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقضي الليل عند زوجته بترتيب الدور ، لكنه كان يذهب بالنهار أيضاً إلى حجراتهن واحدة واحدة ويلتقي بهن ، وكان يستدعي الزوجات جميعاً في أحد الأيام عند زوجة منهن ويلتقي بهن معاً ويناقش معهن الأمور التي تهمهن جميعاً من أمور البيت تفصيلاً ، وكانت الأزواج المطهرات جميعاً يتحدثن في أمورهن بلا تكلف ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع إليهن بكل تمعن ويطيب خاطرهن جميعاً ، ويزيل ما قد يكون موجوداً من خلافات بينية بكل محب وعطف .

❁ عن أنس رضي الله عنه قال : بلغ صفية رضي الله تعالى عنها أن حفصة رضي الله تعالى عنها قالت : بنت يهودي ، فبكت ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال : ما يبكيك؟ قالت : قالت لي حفصة رضي الله عنها إني ابنة يهودي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإنك لابنة نبي (هارون عليه السلام) ، وإن عمك لنبي (موسى عليه السلام) ، وإنك لتحت نبي (محمد صلى الله عليه وسلم) ، فقيم تفخر عليك؟ ثم قال : اتقي الله يا حفصة<sup>(60)</sup> .

❁ عن الأسود رضي الله عنه قال : سألت عائشة رضي الله تعالى عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - تعني في خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة<sup>(61)</sup> .

<sup>59</sup> - محمد في المدينة - منتوجري وات - ص 287-288 .

<sup>60</sup> - جامع الترمذي : 3894 : أبواب المناقب : باب 63 .

<sup>61</sup> - صحيح البخاري : 676 : كتاب الأذان : باب 44 .

عن هشام عن أبيه قال : قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته؟ قالت : كما يصنع أحدكم ؛ يخصف نعله ويرقع ثوبه (62) .

عن عمرة قالت : قيل لعائشة رضي الله تعالى عنها : ماذا كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته؟ قالت : كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (63) .

عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟ (64) .

كان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة يقوم بفريضة الدعوة ثم يعود إلى بيته متعباً ، فيستريح قليلاً ثم ينهض للعبادة ، وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها تقول له : إنك تواجه مشكلات عديدة ومتنوعة طوال النهار بسبب عداء الكفار ، ولذا عليك أن تستريح قليلاً ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها : مضى عهد النوم يا خديجة! (65) .

### محبة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له

كانت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تفخرن بحبه والانتساب إليه بحيث أنهن كن على أتم استعداد للتضحية بكل نعم الدنيا على ألا ينفصلن عنه صلى الله عليه وسلم ، وعلى سبيل المثال حين بدأت سلسلة الفتوحات وازدهرت الحالة المعيشية لعامة المسلمين في المدينة طلبت نساء النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في النفقات ، فكان وقع هذا الطلب على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيلاً . تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : إني ذاكرك أمراً ، فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك ، ثم قال : إن الله تعالى قال (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) (66) . قالت : قلت : في أيّ هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، ثم فعل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت (67) . سبحان الله! تصوّر! كم كانت محبة الأزواج المطهرات للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث أنهن رفضن كل متاع الحياة الدنيا وقبلن الفقر والجوع ولكن لم يرضين فراق النبي صلى الله عليه وسلم ، إن الكلام سهل لكن التنفيذ العملي ليس في مقدور كل الناس .

62 - مسند أحمد : المجلد 6 : ص 106 .

63 - المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية : المجلد الثاني : ص 312 .

64 - صحيح البخاري : 4837 : كتاب التفسير : سورة 48 .

65 - تفسير في ظلال القرآن : سيد قطب : سورة المزمل : تحت آية رقم 2 .

66 - القرآن : 33 : 28-29 .

67 - صحيح مسلم : 3681 : كتاب الطلاق : باب 4 .

لقد منح النبي صلى الله عليه وسلم شرف الزوجية لإحدى عشرة سيدة ، توفيت منهن اثنتان في حياته ، واجتمعت لديه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته تسع زوجات ، فأقام النبي صلى الله عليه مثلاً يحتذى للتوازن في العدل والإنصاف بحيث أن كل واحدة من زوجاته كانت تعتبره صلى الله عليه وسلم قدوة لها ، ولم ترض أبداً بالانفصال عنه صلى الله عليه وسلم رغم وجود الضرائر ، رضي الله تعالى عن هؤلاء النسوة السعداء ، آمين .

## لحظات فكرية للأمة المسلمة

إن الأمة المسلمة كلها في أرجاء الدنيا تمر الآن بحالة من الكرب العميق والألم الشديد ، وهذه الواقعة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة ، ولا يبدو أن هذه السلسلة سوف تنتهي ، ومع ذلك فإننا في كل مرة نحرق ممتلكاتنا ونزهق أرواح إخواننا بأيدينا ثم نلوذ بالصمت ، ثم نقول إن كل ما يحدث ما هو إلا مؤامرة من نسج الأعداء . فمتى يأتي الوقت الذي نقوي فيه أنفسنا ولا نعطي لعدونا الفرصة ليتآمر ضدنا؟

إن الله لم يغير إلى اليوم حال أمة لم تهتم هي بتغيير حالها بنفسها

وفي هذا الخصوص أتقدم ببعض الاقتراحات وأرجو من أهل العلم رجالاً ونساءً أن يكتثروا من الكتابة عنها ، فلربما أيقظت مقالة الأمة المسلمة من سبات غفلتها .

### إقتراحات قصيرة الأمد

✪ ينبغي على منظمة العالم الإسلامي ومنظمة وزراء خارجية الدول الإسلامية وكل المشاركين في السلطة أن يتبنوا منهجاً قوياً وطريقة فعالة ويثيروا هذه القضية أمام المحافل الدولية بطريقة مؤثرة .

✪ يجب على الحكام المسلمين أن يتحدوا فيما بينهم وأن يعتمدوا على قوتهم الجماعية وإلا فعلى كل دولة أن تتوقع أن يأتي دورها ويحدث فيها ما حدث في مصر وليبيا .

✪ على كل القادة والزعماء الدينيين والشعبيين أن يلقنوا شعوبهم من خلال خطاباتهم وكتاباتهم التمسك بالأمن والأمان وأن يبينوا لهم أضرار العنف .

✪ على عامة المسلمين أن يتواصلوا مع ممثلي حكوماتهم في مناطقهم سواء كان هذا التواصل شفهيًا أم عن طريق الخطابات، وأن يعبروا لهم عن حزنهم العميق وغضبهم الشديد ، وأن يخرجوا في مظاهرات قوية ويسجلوا احتجاجهم بشرط مراعاة القوانين المحلية وتجنب العنف والتخريب ، لأن المظاهرات العنيفة تضر بالبلاد وتسيء إلى الإسلام وتضيف كراهية إلى الآخرين بدلاً من كسب تعاطفهم ، ويجب أن تعرف الشعوب أن سلمان رشدي مؤلف كتاب آيات شيطانية والدنماركي صاحب الرسوم المسيئة والهولندي منتج الفيلم الفتنة كل هؤلاء يقيمون في أماكن آمنة ويسعدون

بمشاهدة ما يحدث على شاشة التلفزيون وكبف يقوم المسلمون بحرق ممتلكاتهم بأنفسهم ، ويقتلون بأيديهم إخوة لهم موحدين بالله ، والأدهى من ذلك أنهم يفعلون كل ذلك باسم ذلك النبي الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين!

## إقتراحات بعيدة المدى

### التقدم في مجال التعليم

يقول المؤرخ البريطاني المعروف آرنولد توينبي : Arnold Toynbee : إن الحضارات تزول حين لا يستطيع القادة التجاوب بإبداع مع المستجدات ، وفي هذا الخصوص لاحظ كيف كان تصرف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد جمعت قريش مكة كل القبائل المعادية للإسلام ووحدهم وكونوا جيشاً من عشرة آلاف رجل وأرسلوهم لمهاجمة المدينة ، وكان عدد المجاهدين المسلمين في ذلك الوقت ثلاثة آلاف فقط ، فطلب النبي صلى الله عليه وسلم المشورة من الصحابة الكرام ، فقال سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه : في بلادنا فارس عندما يريد جيش كبير مهاجمتنا فإننا نحفر خندقاً حول المدينة حتى نوقف تقدمه ، فأعجب هذا الاقتراح النبي صلى الله عليه وسلم لأن الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها ، وهكذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق على الفور ، والواقع في هذه الأيام يشبه هذا تقريباً ، إذ هاجمت القوى غير المسلمة الحدود النظرية والجغرافية للمسلمين ، وتجري محاولات مستمينة للربط بين الإسلام والإرهاب ، لكننا لم نعتبر مما جرى لنا في السنوات العشر الأخيرة .

وا أسفاه على الفشل إذ فقدت القافلة كل ثروتها

وفقدت قلوب القافلة الإحساس بخسارتها

لقد استفاد نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم قبل ألف وأربعمائة وثمانية وعشرين عاماً من طريقة الشعب الإيراني المتقدم في ذلك الوقت وأمر بحفر الخندق بشكل استثنائي وفوري وأنقذ المسلمين من الدمار ، واليوم إذا استفاد المسلمون من الأمم المتقدمة تقنياً في هذا العصر وحاولت التقدم بشكل فوري في ميادين الاقتصاد والعلوم والتجارة والإعلام فسوف يكونون جديرين خلال نصف قرن قادم بالحياة في هذا العالم الجديد بطريقة محترمة ، ولن يستطيع أحد أن يسيئ إلى دينهم ، لأن قرار المستقبل لن يكون في ميدان الحروب وإنما سيكون في ميادين التعليم والاقتصاد .

إن لم تفهموا أيها المسلمون الغافلون فسوف تمحون من الوجود

ولن يكون لقصتكم ذكر بين قصص الأمم

### أهمية التعليم في الوحي الأول

إن القرآن الكريم هو أول كتاب في تاريخ المذاهب والأديان تنزل أول خمس آيات فيه في غير الصلاة والصيام والحج والزكاة ، وإنما جاء الحكم بالقراءة مقترناً بربوبية الله مرتين في آيتين ، وجاء الذكر بالتعليم مرتين في آيتين ، ومرة جاء ذكر القلم ،

أي الكتابة، ودلّ لفظ (العلق) على العلم التجريبي التطبيقي ، أي للترغيب في البحث في العلوم الفيزيائية ، ويكتب المحقق المعروف موريس بوكالي : Maurice Bucaille من محققي العصر الحديث في صفحة 204 من كتابه (الإنجيل والقرآن والعلم : The Bible, The Quran and Science) : إن مراحل تخليق الطفل المختلفة في بطن أمه والتي ذكرها القرآن قبل ألف وأربعمائة عام اكتشفها العلم في هذا العصر فقط ، ومن بين هذه المراحل مرحلة (العلق) ، أي عندما تتحول قطرة الماء في بطن الأم إلى دم متماسك أي (علقة) . يقول موريس بوكالي : لقد ذكر القرآن الكريم مراحل تخليق الطفل خمس مرات، كانت أول مرة منها في الآية الثانية من أول وحي (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ) <sup>68</sup> ، وهذه ليست حالة عادية ، وإنما حالة في غاية الأهمية بحيث أن السورة كلها سميت سورة (العلق) .

ويشهد التاريخ أنه طالما كان المسلمون نشيطين في ميدان العلوم التطبيقية التجريبية فقد كانوا قوة عظمى ، ولكنهم أصبحوا أذلاء ضعفاء حين تركوا هذه العلوم . لقد أنجبت أفغانستان علماء كبار في ميدان الفتوى والدعوة والحديث ، لكنها لم تنجب عالماً تجريبياً يصدّ عنها الصواريخ الحديثة ، ولهذا هزمت أفغانستان ، ولو أن لديها العلم والتكنولوجيا لاختلف الواقع تماماً .

لو أننا لم ننس درس القرآن وتعاليمه لما أرانا زماننا مثل هذا الزمان

### مسألة اتحاد المسلمين

المسلمون اليوم مظلومون في هذا العالم ، ويقال إن المسلمين غير متحدين ولا يعملون بالإسلام ، ولهذا ذلّوا وهانوا ، وأنا أختلف مع هذا الطرح جزئياً ، صحيح أن هذا هو أحد أسباب هذا الواقع لكنه ليس الأسباب كلها ، فقد بقي المسلمون الأوائل مظلومين ثلاثة عشر عاماً في مكة ، وأي ظلم لم ينزله الكفار بالسيدة سمية وسيدنا ياسر وسيدنا بلال رضي الله عنهم جميعاً . فهل يجراً أحد أن يقول إن المسلمين كانوا مظلومين في مكة لأنه لم يكن بينهم اتفاق؟ أو أنهم لم يكونوا يعملون بالإسلام؟ بالطبع لا ، والحقيقة هي أنه كانت هناك حاجة في ذلك العصر إلى قوة الأفراد لردّ ذلك الظلم ، لأنه كان زمن السيف والحرب رجل لرجل ، ولم يكن لدى المسلمين حينذاك قوة من الأفراد ، ولكننا نحتاج لردّ الظلم الواقع علينا في هذا العصر المتقدم إلى العلم والتكنولوجيا ، وطالما لم نتقدم في ميادين العلم والتكنولوجيا فإننا سنظل هكذا مهانين مهزومين ، ولهذا فليس هناك سوى طريق واحد لرفع هذا الظلم وهو أن نتقدم في ميادين العلم والتكنولوجيا جنباً إلى جنب مع اتحادنا واتفاقنا فيما بيننا :

الأمة تتقدم بتنظيم نظام العقل والعقل ينير بمشعل التعليم

### تقدم اليهود في القرن الماضي

في القرن الماضي قتل ستة ملايين يهودي ، ولم يكن لدى هؤلاء اليهود حتى مجرد وطن ، لكنهم التزموا بدينهم وتقدموا في ميادين العلم والتكنولوجيا ، واليوم هم يمثلون صوتاً مؤثراً بين أمم العالم ، ومن بين اليهود الذين كان لهم دور هام في وجود

إسرائيل نفسها عالم يدعى (شاييم وايزمان : Chaim Weizmann) وهو الذي أعدّ مادة (الأسيتون : Acetone) لبريطانيا في الحرب العالمية الأولى ، وكانت هذه المادة تستخدم في صناعة القنابل ، وعضواً عن ذلك أعلن في نوفمبر عام 1917 م فيما يسمى بإعلان بلفور أن حكومة بريطانيا ستبدل قصارى جهدها في أن يحصل اليهود على وطن لهم في فلسطين ، وهكذا عندما قامت إسرائيل كان أول رئيس لها هو شاييم وايزمان ، كما أن العالم الهندي عبد الكلام قد نصّب رئيساً للهند بفضل إنجازاته العلمية ، والهند بلاد الهنادكة ، ولكن رئيسها مسلم بفضل كفاءته بينما رئيس وزرائها سيخي ، وفي بريطانيا كذلك إذا استعمل المسلمون عقولهم وقوتهم الفردية بشكل صحيح فليس من المستبعد أن يصبح أحد المسلمين فيها رئيس وزرائها في الغد لقرب ، فإذا كان المسلمون في بريطانيا يمكن أن يصلوا إلى البرلمان ومجلس العموم والوزراء فإنه لا يعيقهم شيء عن أن يصبح أحدهم رئيس وزراء البلاد اعتماداً على كفاءته ، وتعداد اليهود في بريطانيا يقترب من ثلاثمائة ألف فرد لكن يمثلهم في البرلمان البريطاني ستون عضواً ، في حين يبلغ تعداد المسلمين في بريطانيا حوالي مليونين ، ولو كان لنا ممثلون في البرلمان بما يتناسب مع هذا العدد ربما لما حصل توني بلير على الأصوات الكافية المطلوبة في البرلمان لمهاجمة العراق ، وبعض الحمقى من المسلمين يعتبرون الانضمام إلى هذه الحكومة مخالفة للإسلام ، وعليهم أن يطالعوا سورة يوسف من القرآن الكريم ، حيث تولى سيدنا يوسف عليه السلام وزارة المالية لحاكم كافر ، وخدم الإسلام بحسن حكمته بطريقة لا نظير لها .

### مقتضيات الإسلام من الشباب المسلم الذي يعيش في أوروبا وأمريكا

إن قصة سيدنا يوسف عليه السلام وشاييم وايزمان تستحق التمعن ، وأنا لا ألمس أملاً في حكام الدول الإسلامية في أيامنا هذه ، لكنني يحدوني أمل كبير في الشباب المسلم الذي يعيش في أوروبا وأمريكا الآن ، فلو أن هؤلاء الشباب التزموا بمتطلبات الإسلام وتعاليمه وأجادوا في مجالات العلوم الدينية والدنيوية فإن قدر الأمة الإسلامية وحالها يمكن أن يتغير إلى الأفضل ، وأنا لا أقول هذا الكلام من فراغ ، وإنما أعتد فيما أقول على دلالات التاريخ وشهادته التي تؤكد أنه كان للشباب من الرجال والنساء دائماً دور فعال في مواجهة الظلم وإخراج المسلمين من حالات الذل التي عاشوها ، وأقدم هنا هذه الواقعة من القرآن الكريم .

لقد كان بنو إسرائيل في مصر مستعبدين لدى الفرعون يعيشون حياة الذل والمهانة ، وحين احتجّ سيدنا موسى عليه السلام على ظلم فرعون وكفره ترى من الذين ساندوه في بداية الأمر؟ جاء في الآية رقم 83 من سورة يونس أن بني إسرائيل جميعاً خافوا من بطش فرعون وظلمه باستثناء مجموعة من الشباب آمنوا بسيدنا موسى عليه السلام ، ثم آمنت بنو إسرائيل بعد ذلك تأثراً بثبات هؤلاء الشباب وقوة عزيمتهم (فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) (69) .

والآن تعالى بنا لنلقي نظرة على ذلك الانقلاب الذي حدث قبل ألف وأربعمائة عام في أرض العرب على يد نبينا المحبوب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لقد كانت طلائع المجاهدين في هذا الانقلاب من شباب الرجال والنساء أيضاً ، ولم يكن في مكة من طلائع المجاهدين من غير الشباب سوى بعض الشخصيات التي تكبر النبي صلى الله عليه وسلم سناً ، بينما

كانت نسبة 80% منهم من بين الشباب الصغير وفي سن المراهقة ، فقد كان عمر سيدنا جعفر بن أبي طالب وسيدنا سعد بن أبي وقاص وسيدنا مصعب بن عمير وسيدنا عبد الله بن مسعود وسيدنا الزبير بن العوام وسيدنا طلحة وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً عندما دخلوا في الإسلام أقل من عشرين عاماً ، وكان عمر سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا بلال الحبشي وسيدنا صهيب الرومي وسيدنا سعيد بن زيد صهر سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنهم جميعاً ما بين العشرين والثلاثين ، وكان دور الشبابات من النساء في هذه الحركة بارزاً أيضاً ، فقد كانت السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها في السادسة عشرة من عمرها حين دخلت في الإسلام وعرضت نفسها للخطر الشديد لكي تذهب بالطعام إلى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأبيها سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في غار ثور أثناء الهجرة إلى المدينة ، وكانت السيدة فاطمة بنت الخطاب أخت سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في الخامسة والعشرين من عمرها حين أسلمت وقالت لأخيها عمر بن الخطاب وهي جريحة بعد أن ضربها أخوها حتى أدماها : يا أخي! إنك تستطيع أن تقضي على حياتي ، لكنك لا تستطيع أن تخرج الإسلام من داخلي! فتأثر الشاب عمر بن الخطاب ذو الستة وعشرين عاماً من هذا الثبات وهذه العزيمة وأسلم رضي الله عنه .

### قضية حرية التعبير

ورغم أن السيد بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة والسيد باراك أوباما رئيس الولايات المتحدة الأمريكية قد شجبا هذا الفيلم ، لكن قانون حرية التعبير في الغرب يجيزه ويقوّره ، وهذا من عجائب القرن الحادي والعشرين ، أي أن يكون هناك أمر يشجب ويستحقّ الذمّ وهو في الوقت ذاته على حق قانوناً!! فقانون يوجد ليسعد فرداً ، بينما لا يوجد قانون يعاقب من يؤذي ويجرح قلوب ملياراً ونصف المليار من المسلمين ويجرحهم على العنف!

جمالك سمّي العقل جنوناً والجنون عقلاً فجمالك يأتي بالمعجزات كلما شاء

يجب على الغرب أن يضع حدوداً وضوابط لمسألة حرية التعبير هذه ، لأن حرية التعبير التي تتسبب في إزهاق روح لا يمكن تحملها ولا قبولها ، فما بالك بإزهاق أرواح لا حصر لها وإتلاف ممتلكات لا تعوّض! ومن هنا فإن هذه القضية تحتاج إلى الاهتمام الفوري حتى لا تدمر مجموعة قليلة من المتطرفين أمن المجتمع كله من وراء ستار قانون حرية التعبير هذا .

إن حرية التعبير تعدّ من أهم قضايا العصر الراهن ، مع أنها بدأت منذ أن أعلن الله تعالى عن أنه سيجعل في الأرض خليفة وهو الإنسان الأول سيدنا آدم عليه السلام ، إذ قالت الملائكة عندئذ (أَنْجَعُلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) <sup>70</sup> . فهل هناك مثال لحرية التعبير أكبر من هذا يمكن تقديمه أمام العالم كله ، حيث استعمل الملائكة حقهم في حرية التعبير وإظهار مخاوفهم أمام الله تعالى القادر المطلق المستغني ، خالق كل شيء ومالكة والذي لا يسأل عما يفعل! ومع ذلك فإن الله تعالى لم يغيظ من هذا، لكنه جلّ في علاه لا يسمح أبداً لإنسان أن يتفوّه بلفظ ، أو يتحدث عن نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بأسلوب يمكن أن تشوبه إساءة للنبي ، بل والأكثر من ذلك أن الله تعالى هدّد من يفعل هذا بضياح الإيمان والعمل مثلما قال تعالى (يَا أَيُّهَا

<sup>70</sup> - القرآن : 2 : 30 .



الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (71) .

إن الإسلام هو أول الداعين إلى حرية التعبير ، لكنه حدّد لهذه الحرية حدوداً وضوابط ، على سبيل المثال يلزم الإسلام أتباعه أن لا يسبوا ما يعبد الآخرون ، وأن لا يسلكوا تجاهه سلوكاً مسيئاً أو مهيناً مثلما قال تعالى (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) (72) .

إنني أطالب الأمم المتحدة بحظر الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقول وأنا أشعر بألم وحزن شديد إن علينا نحن المسلمين أن نتخلص من الازدواجية في الكيل ، وأنه على أتباع كل مدرسة فكرية ومسلِك أن يحصروا مسلكهم داخل مساجدهم ، وأن يتجنبوا الإساءة إلى الرموز المقدسة والمحترمة للمدارس الفكرية والمسالك الأخرى على شاشات التلفاز وفي وسائل الإعلام .

### رسالة أخيرة إلى الشباب

أبنائي وبناتي الأعزاء! أحبّوا الله تعالى ، وأحبوا نبيه المحبوب صلى الله عليه وسلم ، وحاولوا أن تسيروا وفقاً لتعاليم الإسلام ، وتقدموا في كل مجالات الحياة ، وخاصة في مجالات السياسة والإعلام والعلوم التقنية والتكنولوجيا ، فإن توصل أحدكم إلى اكتشاف هام فإني أؤكد لكم أن أهل أوروبا وأمريكا سيحترمونكم عندما يرون سلوككم، وستحترمكم الحكومات الغربية عندما ترى أبحاثكم واكتشافاتكم العلمية .

تمسّكوا بالعزم أيها الشباب حتى تتخلّص السفينة من الدوامة  
وحتى لا يخرج البلبل من الحديقة باكباً

إن البحث العلمي من أجل علاج الأمراض المستعصية ، وتهيئة العلماء وإعدادهم من أجل الدفاع عن البلاد والرّقي بها، وتحقيق الضروريات الإنسانية ، والتفكّر في المخلوقات بهدف إضافة المزيد من الرفاهية لبني الإنسان ، كل هذا من العبادات العظيمة، وأنا أعتقد أن محاولة المسلمين في عصرنا للحياة بشكل محترم وتحصيل العلوم التقنية والتكنولوجيا الحديثة ليس فقط أمراً في غاية الأهمية ، بل إنه في الحقيقة الفرض الأكثر أولوية والعبادة الأفضل .

وعلى صعيد العبادة الأفضل هذه فإن حالنا وصل في الغفلة عنها إلى درجة أن غير المسلمين قد وصلوا إلى القمر بينما نحن إلى الآن نواجه مشكلة كبرى في رؤية هلال العيدين . غير المسلمين يخلقون في سماء العلم والتكنولوجيا بفضل تفكيرهم في الكائنات وتدبيرهم فيها ، ونحن لا نزال قابعين على الأرض يعوق بعضنا بعضاً :

<sup>71</sup> - القرآن : 49 : 2 .

<sup>72</sup> - القرآن : 6 : 108 .

ليس الأسف على أننا فقدنا الإحساس ، وإنما الأسف على أننا لا نشعر بهذه الخسارة  
وأسفاه على فشلنا فقدت القافلة متاعها ، ولم تعد القافلة تشعر بهذه الخسارة

لقد ظل المسلمون يتحفون العالم باكتشافاتهم واختراعاتهم العلمية ، وظلت الدنيا كلها تتغنى بعظمتهم طالما كانوا  
يتفكرون في الكائنات ويتدبرونها ، ولكن حين تخلوا عن تفكيرهم وتدبرهم لم ينالوا في حياتهم سوى الذلّ والمهانة :

لقد نال أسلافنا العزّة في الدنيا بإسلامهم ، وعشنا نحن أذلاء بتركنا للقرآن  
لو أننا لم ننس القرآن وتعاليمه لما أرانا الزمن مثل هذا الوقت



نقله عن الأردية

د . إبراهيم محمد إبراهيم

رئيس قسم اللغة الأردية

كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر

2012 / 10 / 7 م